

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة الطبعة الثانية

حين اطلعت في دار الكتب المصرية على مخطوطة : « كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير » لابن عبد البر » ووجدت الزبيدي اللغوي تملكها ووقفها مع ما وقفه من الكتب لانتفاع طلاب العلم بها . وليس ذلك فحسب ، فقد وجدت عليها تعليقات للعلامة المؤرخ شمس الدين السخاوي ، حيثد عرفت أنها مخطوطة نفيسة . وحاولت أن أجد من الكتاب مخطوطة أو مخطوطات أخرى للمقابلة ، ولم يُكَب لي الظفر بشيء من ذلك فاكفيت بأن المخطوطة موثقة ومضيت أحققها وأعدّها للنشر . مستعينا بما وجدته من الأصول التي ذكرها ابن عبد البر في الكتاب . وأيضاً من الفروع التي استمدت منه ونقلت عنه . وقد بسطت القول في ذلك بمقدمة الطبعة الأولى .

ونشرت الكتاب - بتحقيقى - لجنة إحياء التراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في سنة ١٣٨٦ للهجرة ، ولم تكد تدخل سنة ١٣٩٠ حتى كانت قد نفذت تلك النشرة . ولم يلبث معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن عثر على مخطوطة منه في الخزانة العامة بالرباط ، وبادر إلى تصويرها . وصوّرها لي مشكوراً . ووجدتها مخطوطة متأخرة ربما رجعت إلى القرن الحادى عشر الهجرى . وهى بخط مغربى وغير موثقة ، وبها بياض في غير ورقة وهو واضح في ظهر الورقة الأولى المصورة في هذه الطبعة الثانية ، وبها ما لا يكاد يُحصى من التصحيحات وسواقط الكلمات ، ولم أرا إثبات ذلك في الهوامش ، إذ ليس في إثباته فائدة . ويتضح من مقدمتها أنها ترجع إلى أم أخرى غير أم المخطوطة الموثقة التي نشرتها في الطبعة الأولى ، وأيضاً فإنها تختلف عنها بزيادات قليلة رأيت إثباتها ، كما أثبت منها بعض تصحيحات قليلة . ورمزت إلى تلك النسخة في الهوامش بالحرف (ر) .

وكنت قد لاحظت في المخطوطة الموثقة التي نشرتها أنه تردّد في بعض صفحاتها كلمة « قلت » ويليها تعقيبات على كلام ابن عبد البر . وقد توضع مكان كلمة « قلت » كلمة

« فائدة » أو كلمة « ههنا لطيفة » . وذُكر التعقيب في أمكنة قليلة بدون إشارة تسبقه تدل على أوله ، غير أنه كان يُعلن دائماً عن نفسه بما ينهى به من العلامات الدالة على انتهاء التعقيب مثل : « عاد الكلام » أو « يرجع الكلام » أو « والله أعلم » أو والحمد لله « أو « وباللّٰه التوفيق » . وذكرت في مقدمة الطبعة الأولى أن هذه التعقيبات إما أنها كانت مكتوبة على هامش الأصل الذي نقلت عنه المخطوطة وأدبجها فيها الناسخ لها . وإما أن يكون الناسخ هو العالم الديني الذي أضاف تلك التعقيبات .

وكثيراً ما خشيت أن يكون تقديري لبدء هذه التعقيبات ونهايتها غير دقيق ، إذ كنت رأيت فضلها عن الكتاب ووَضَعها في هوامشه ، حتى أُعيد إليه نسقه الذي صاغه به ابن عبد البرّ . وحين عرضت صنيعى على النسخة الجديدة وجدتنى مصيباً فيما عدا مواضع قليلة ظننت فيها أحياناً أن التعقيب من مَثَن الكتاب ، أو أنه ليس من متنه . وبالمعارضة على المخطوطة الجديدة رُدّ الكتاب في تلك المواضع إلى نسقه . وماتوفيقى إلا باللّٰه عليه توكلت ، وإليه أنيب .

شوقى ضيف

القاهرة في أول شعبان سنة ١٤٠٣ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

١

المؤلف

مؤلف هذه السيرة النبوية هو أبو عمر يوسف^(١) بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم التَّمَرِي ، وُلد بقرطبة في يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلثمائة ، ونشأ في بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدثيها ، وقد وجهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية . وتوفى وابنه في الثالثة عشرة من عمره ، فدأب على الدرس من بعده والسماع من جلة العلماء أمثال أبي عمر المكوي ، وابن القرضي ، وعبد الوارث ابن سفيان ، وخلف بن قاسم ، وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وسعيد بن نصر ، ومحمد بن إبراهيم بن سليمان ، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التَّاهَرْتِي ، وأحمد ابن محمد بن أحمد بن الجصور ، وأبي عمر الباجي ، وغيرهم من أعلام الفقه والحديث والتاريخ والمغازي والأخبار والأنساب .

وما نكاد نتقدم في القرن الخامس الهجري حتى يلعب اسمه بين ناهي العلماء بقرطبة ، وسرعان ما تفسد الحياة فيها وتشتعل الفتن ، ويأخذ صرح الدولة الأموية بها في الانقراض ، وتقوم على أنقاضه إمارات ملوك الطوائف المعروفين في الأندلس ، إذ تستقل كل بلدة كبيرة بإمارة وأمير . وطالت الفتن بقرطبة ، فهجرها كثير من علمائها . وشجعهم على الهجرة منها الأمراء الجدد ، إذ مضوا يتنافسون في جمع العلماء والأدباء والشعراء بإماراتهم أو بلدانهم ، وارتحل فيمن ارتحلوا عن قرطبة أبو عمر بن عبد البر ميمماً بطليوس

(١) انظر في ابن عبد البر جدوة القنيس للحميدى (طبع القاهرة) ص ٣٤٤ ، وابن بشكوان في النصلة (طبعة القاهرة) ص ٦١٦ ، والصبي في بعية المنتسب ص ٤٧٤ ، والفتح بن خاقان في المطمع ص ٦١ . والمغرب لابن سعيد (طبع دار المعارف) ٤٠٧/٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦٦/٧ وابن فرحون في الديباج المذهب (الطبعة الأولى بالقاهرة) ص ٣٥٧ ، والمعاد في شذرات الذهب ٣٤٤/٣ وتذكرة الحفاظ للذهبي (طبع حيدرآباد) ٣٠٦/٣ ، ومراة الجنان ٨٩/٣ ، والعبر في خبر من عبر (طبعة الكويت) ٢٥٥:٣ .

في غربي الأندلس ، حيث أمراؤها بنو الألفطس ، وماكاد يستقر في حاضرتهم حتى أكرموه غاية الإكرام ، وولَّوه القضاء في بلدق أشبونة وشنترين من بلدان إمارتهم . ويتحول إلى شرقي الأندلس وينزل بلنسية ودانية ، وربما كان مما حَبَّبه في الأخيرة مجاهد الذي كان يمسك بمقاليد الحكم فيها ، فقد كان مشاركاً في علوم القرآن والحديث كما « كان محباً للعلماء محسناً لهم حتى عُرف بذلك بلده وقُصد من كل مكان ». وكان لابن عبد البر ابن أديب وكاتب بليغ ، فوظَّفه مجاهد في دواوينه ، حتى إذا توفَّى اتخذَه ابنه علي (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) رئيساً لدواوينه وكتَّابه . وحدث أن صدر عنه برسالة إلى المعتضد صاحب إشبيلية (٤٣٦ - ٤٦١ هـ) وبدلاً من أن يتلقاه لقاء حسناً حبسه في سجنه ، مما جعل أباه بقصده مستعظماً بمثل قوله :

قصدتُ إليك من شرقٍ لغربٍ لتبصرَ مُقلتي ما حلَّ سَمعي
وتعطفك المكارمُ نحو أصلٍ دعاكم راعباً في خيرِ قرع
فإن جدُّتم به من بعد عفوٍ فليس الفضل عندكم ببذع

وسرعان ما ردَّ المعتضد إلى ابنه حرته وعاد إلى دانية . ولبَّى الابن نداء ربه في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ولعل ذلك هو الذي جعل أباه يتحول عن دانية إلى شاطبة ، وبها يسلم روحه إلى بارئه في سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمسة وتسعين عاماً .

وهذه السنُّ العالية جعلت ابن عبد البر كما شهد موت ابنه يشهد ويسمع عن موت كثيرين من تلاميذه مثل ابن حزم . وكان يصغره بنحو عشرين عاماً ، وتوفَّى قبله بنحو سبعة أعوام . وكان يجمع في باكورة حياته إلى مذهب الظاهرية أتباع داود بن علي الأصبهاني الذي كان ينكر الرأي في الفقه والتشريع ويبني أحكامه على ظاهر الآيات القرآنية والسنة النبوية . على أنه لم يلبث أن انتظم فيما انتظم فيه جمهور أساتذته وأهل موطنه من اعتناق مذهب مالك بن أنس . وكان فيه اعتدال جعله يميل إلى بعض آراء الشافعي الفقهية . وكأنه لم يكن يعرف التعصب والتحيز إنما يعرف الحق ويطلبه ، فإذا استبان له انقاد راضياً .

ويُجمع من ترجموا له على الإشادة بعلمه وروايته الغزيرة للحديث النبوي ، وفيه يقول الحميدي تلميذه : « فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالاختلاف في الفقه وبعلم

الحديث والرجال ، قديم السماع كثير الشيوخ « ويقول أبو الوليد الباجي : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث » ويقول ابن بشكوان : « إمام عصره وواحد دهره .. دأب في طلب العلم وافتن فيه وبرع براءة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس » ويقول ابن سعيد نقلاً عن الجباري : « إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث ، لا أستثنى من أحد ، وحافظها الذي حاز خصل السبب واستولى على غاية الأمد ، وانظر إلى آثاره ، تُعْثِك عن أخباره » .

وقد سمع منه عالم عظيم حملوا عنه مصنفاته التي طارت شهرتها في عصره وبعد عصره ، منها في الفقه والحديث كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » وفيه يقول ابن حزم : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟ ! » . وفي دار الكتب المصرية قطعة من هذا الكتاب ، وقد اختصره ابن عبد البر في كتاب سماه « التقصّي لما في الموطأ من حديث رسول الله ﷺ » . ومن كتبه في الفقه والحديث أيضا : « الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار مما رسمه الإمام مالك في الموطأ من معاني الرأي والآثار » نُشر منه بالقاهرة جزآن بتحقيق الأستاذ على النجدي . وقد عاد فاختصره في كتاب دعاه : « الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة » . ومن كتبه في الفقه : « اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه » . ومن كتبه في القراءات وعلوم القرآن : « البيان عن تلاوة القرآن » و« التجويد والمدخل إلى العلم بالتحديد » و« الاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه » . ومن كتبه « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » وقد اختصره أحمد عمر المحمصاني البيروني ونُشر في مجلد لطيف . وألّف في السيرة النبوية كتابه الذي نشره : « الدرر في اختصار المغازي والسير » وعُنِيَ بسير مالك والشافعي وأبي حنيفة وصنّف فيها « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » وهو مطبوع . وألّف في الصحابة كتابه الضخم « الاستيعاب » استقصى فيه أسماء المذكورين منهم في الروايات والأخبار وعرّف بهم ولخص أحوالهم وأخبارهم مرتباً لهم على حروف المعجم ، وهو مطبوع . ومن كتبه « القصد والأتم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم » و« الإنباه على قبائل الرواه » وهما مطبوعان معاً . وكانت فيه نزعة أدبية جعلته ينظم الشعر من حين إلى حين ، كما جعلته يؤلف كتابه « بهجة المجالس وأنس المجالس » للمظفر بن الأفتس صاحب بطليوس ، وهو مختارات

من غرر الأبيات ونوادر الحكايات الدالة على مكارم الأخلاق ، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق الأستاذ الخولى وينهى ابن بشكوال حديثه عن مصنفاته بقوله : « كان موفقاً في التأليف معاناً عليه ونفع الله بتواليفه ، وكان مع تقدمه في علم الأثر ، وبصره بالفقه ومعاني الحديث ، له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر » .

٢

مصادر « الدرر في اختصار المغازي والسير »

ذكر ابن عبد البر في خطبة هذا الكتاب أنه أفرد له لسائر خبر رسول الله ﷺ في مبعثه وأوقاته معتمداً على كتابي موسى بن عقبة في المغازي . وكتاب محمد بن إسحق في السيرة النبوية . ومعروف أن أولها توفي سنة ١٤١ للهجرة . في حين توفي الثاني سنة ١٥٠ أو ١٥١ في بعض الروايات . وظل كتاباهما المصدرين الأساسيين لسيرة الرسول ﷺ . على مدى العصور التالية . يرجع إليهما المصنفون والمؤلفون للسيرة الزكية . حتى إذا طال بها العمر سقطا من يد الزمن كما سقط كثير من المصنفات القديمة . إلا قطعة من سيرة ابن إسحق لا تزال باقية بمكتبة الرباط . وإلا رواية ابن هشام لها . وهي ليست رواية تامة إنما هي تهذيب وتنقيح لها واختصار . ولم يروها عن ابن إسحق مباشرة . إنما رواها عن تلميذه زياد بن عبد الله البكائي . وقد طبعت في عصرنا مراراً .

ويقول ابن عبد البر : إنه اختصر سيرته من كتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره . ويفضّل القول في ذلك في أثناء حديثه عن حجّة الوداع . قائلاً : « ما كان في كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان . عن قاسم بن أصبغ . عن محمد بن عبد السلام الحشني . عن محمد بن البرقي . عن ابن هشام . عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق . وقراءة مني أيضاً على عبد الله بن محمد بن يوسف . عن ابن مفرج . عن ابن الأعرابي . عن العطاردي . عن يونس بن بكير . عن ابن إسحق . وقراءة مني أيضاً على عبد الوارث بن سفيان . عن قاسم بن أصبغ . عن عبيد بن عبد الواحد اليزار . عن [أحمد بن] محمد بن أيوب . عن إبراهيم بن سعد . عن ابن إسحق » . وإذن فهو لم يكف برواية ابن هشام لكتاب ابن إسحق . بل ضم إليها رواية يونس بن بكير . وبمكتبة القرويين بفاس نسخة منها مخطوطة . وأيضاً فإنه ضم إليها رواية إبراهيم بن

سعد ، وبذلك كان بين يديه ثلاث روايات لكتاب ابن إسحق .
ويحدثنا ابن عبد البر في نفس الموضوع أن ما كان في كتابه عن موسى بن عقبة فقرأه على
عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور ، عن قاسم بن أصبغ ، عن
مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب ، عن ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة .
ويعقب على ذلك بقوله : « ولى في ذلك روايات وأسانيد مذكورة في صدر كتاب
الصحابة » وهو يريد كتابه : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » . وإذا رجعنا إلى فواتحه
وجدناه يقول إن ما فيه عن موسى بن عقبة فمن طريقين : أحدهما هذا الطريق الذي
ذكره ، وثانيهما عن خلف بن قاسم عن أبي الحسن عن أبي العباس بن محمد بن عبد الغفار
يعرف بابن الوان المصري ، عن جعفر بن سليمان النوفلي ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ،
عن محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ولا يلبث ابن عبد البر أيضاً أن يقول : وحدثني
أيضاً عبد الوارث ، عن قاسم ، عن ابن أبي خيثمة في كتابه ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن
محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة . وفي نفس الموضوع يقول ابن عبد البر : « وفي
الفهرسة روايتنا لكتاب الواقدي وغيره ، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره » .
والفهرسة سجل أو كتيب صغير ذكر فيه رواياته الكتب عن شيوخه مفيضاً في أسانيدها
المختلفة . وذكر في فواتح الاستيعاب روايته لكتابي الواقدي : الطبقات والمغازي ، أما
الطبقات فقال : « قرأته على أحمد بن قاسم التَّاهَرْتِي ، عن محمد بن معاوية القرشي ، عن
إبراهيم بن موسى بن جميل ، عن محمد بن سعد كاتب الواقدي ، عن الواقدي » . وأما
المغازي فقال : « أخبرني به خلف عن قاسم ، عن أبي الحسن ، عن أبي العباس بن الوان ،
عن جعفر بن سليمان النوفلي ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، عن الواقدي » .
ويقول ابن عبد البر في نفس الموضوع مكملًا حديثه عن مصادر كتابه : « وفي كتاب
أبي بكر بن أبي خيثمة - روايتي له عن عبد الوارث ، عن قاسم ، عنه - من ذلك
أطراف » . ويقول في فواتح الاستيعاب : « قرأت جميع كتاب ابن أبي خيثمة على
أبي القاسم عبد الوارث بن سفيان بن حَبْرُون ، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف
الشيبياني ، عن ابن أبي خيثمة أبي بكر أحمد بن زهير بن حرب » وفي الكتاب أحاديث
مختلفة رويت عن ابن أبي خيثمة بالسند المذكور . ويظهر أنه كان له كتاب في السنن بجانب
كتابه التاريخ الكبير في تعديل الرواة وتجريرهم .

وهذه هي المصادر التي عني ابن عبد البر بذكرها ، ولا ريب في أن وراءها مصادر أخرى لم يُعْنِ بإيرادها . من ذلك أنه يروي أكثر الأحاديث في هذه السيرة عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وفيه يقول الحميدي : « رحل إلى العراق وغيرها وسمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبا بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق المعروف بابن داسة صاحب أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، وأبا بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي صاحب عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأحمد بن سليمان النجاد ، ومحمد بن عثمان بن ثابت الصيدلاني صاحب إسماعيل القاضي ونحوهم . وحدّث بالأندلس . روى لنا عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ . فرواية ابن عبد البر تتصل به بشهادة الحميدي تلميذه ، ونفس الأحاديث والأخبار التي يرويها عنه تتصل مباشرة بابن داسة عن أبي داود السجستاني .

ويجانب ابن عبد المؤمن نجد ابن عبد البر يروي أحاديث وأخباراً أخرى عن سعيد بن نصر . وفيه يقول الحميدي : « سمع قاسم بن أصبغ البياني ومحمد بن معاوية القرشي ... وروى عنه الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر » وسنده في السيرة يتصل بشيخه قاسم . ونجد أيضاً محمد بن إبراهيم ويقول الحميدي إنه : « يعرف بابن المدائلة . روى عن محمد بن معاوية القرشي . وروى عنه أبو عمر بن عبد البر التبري » وقال : كان من أضبسط الناس لكتبه وأفهمهم لمعاني الرواية ، له تأليف جمع فيه كلام يحيى بن معين (المحدث) في ثلاثين جزءاً أخبرنا به أبو عمر بن عبد البر عنه « وسنده في السيرة يتصل مباشرة بمحمد بن معاوية القرشي .

وساق ابن عبد البر في « بعث بئر معونة » حديثاً عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي وهو أبو عمر الباجي ، وفيه يقول الحميدي : « روى عنه جماعة أكاير أدركنا منهم الفقيه أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الحافظ » ويذكر الحميدي من شيوخ الباجي الحسن بن إسماعيل . وسند الحديث الذي ذكره ابن عبد البر عن الباجي موصول به مباشرة . وذكر مع بعض الأخبار سعيد بن يحيى الأموي ، وكان كتابه « السير » كان أحد مصادره .

وقد يختصر ابن عبد البر سند الحديث والخبر ، فلا يذكر سلسلة روايتها كاملة . بل يكفي بمثل قوله : روى عن عبادة بن الصامت ، أو قال ابن شهاب الزهري أو قال

معمر ، أو ذكر ابن جريج ، أو روى سفیان الثوري ، أو قال أبو داود الطيالسي ، أو قال سنيد ، أو قال وكيع .

٣

توثيق النص وقيمه

ذكر الحميدى فى ترجمته لابن عبد البر أنه صنّف فيما صنّف كتاب « الدرر فى اختصار المغازى والسير » وتوالى غير واحد بعده ممن ترجموا لابن عبد البر يذكرونه بين مصنفاته . وقد رأينا فى تضاعيف الكتاب ما يشهد شهادة قاطعة بأنه من تأليفه ، فقد ذكر فيه - كما أسلفنا - طرفاً من أسانيدِه عن كتب موسى بن عقبة وابن إسحق وابن أبي خيثمة ، وأحال من يريد استكمالها على كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وهى فيه أكثر تفصيلاً . وليس هذا هو الموضوع الوحيد الذى أحال فيه على الاستيعاب فى الكتاب ، فقد تكررت إحالته عليه ، إذ نجده يذكره فى خطبة الكتاب على نحو ما سنرى عما قليل . وقد توقف عند قول القائلين بأن علياً كان أول الناس إيماناً بالله ورسوله قائلًا : « وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى باب من كتاب الصحابة » . ويذكر فى تسميته من شهد بدرًا من المهاجرين حَبَّاب بن الأرت ، ويقول إنه خزاعى ويقال تميمى ، ويعقب على ذلك بقوله : « وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلفه فى باب اسمه من كتاب الصحابة » . ويذكر بين من استشهد من المهاجرين فى يوم أحد عبد الله بن جحش وأنه دفن مع حمزة فى قبر واحد ، ثم يقول : « وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى كتاب الصحابة » . ويتحدث عن بَعَث الرجيع وقتل خَبِيب فيه . ويقول : « وقد ذكرنا خبره وما لى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة » ويسوق له يتيين قالها حين قدمه المشركون لِيُصَلَّبَ ويتلوها بقوله : « فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة » . وعِدَّتْها فيه عشرة أبيات . ويقول فى غزوة فتح مكة : « وأنشد الرسول عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى باب من كتاب الصحابة » . ويذكر فى باب الوفود الحُتَات بن يزيد الجاشعنى الذى آخى الرسول بينه وبين معاوية ، ويقول : « قد ذكرنا خبره فى باب من كتاب الصحابة » . ويتحدث عن غَسَل الرسول وتكفينه بعد موته ، ويقول إن شقران مولاة حضرهم « وقد ذكرنا فى صدر كتاب

الصحابة سؤاله في هذا المعنى . ولم يُحلّ ابن عبد البر على الاستيعاب وحده من كُتبه ، فقد أحال أيضاً على كتابه « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » إذ عقب على حالات الوحي في مفتح الكتاب بقوله : « وقد أشبعنا هذا المعنى في كتاب التمهيد عند ذكر حديث عائشة رضی الله عنها المذكور » . وتحدث في خاتمة الكتاب عن صلاة أبي بكر بالناس في مرض الرسول ﷺ ، وقال : « وقد أوضحنا معاني صلاته في مرضه بالناس مع أبي بكر ومكان المقدم منها ، وما يصحُّ في ذلك عندنا في كتاب التمهيد » . ومرّبنا تعقينا لمن روى عنهم ابن عبد البر الأحاديث والأخبار في هذه السيرة ممن لم يذكرهم في أسانيدهم لكن ابن عقبة وابن إسحق وابن أبي خيثمة ، ورأيانهم جميعاً في عداد أسانيدته الذين روى عنهم ، بشهادة تلميذه الحميدى .

وكل ذلك معناه أن نسبة هذه السيرة إلى ابن عبد البر نسبة وثيقة ، ونراه يقول في خطبها أو فاتحتها : « هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته وعميونا من أخباره في صدر كتابي في الصحابة ، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقانه ﷺ . . . والنسق كله على ما رسمه ابن إسحق . فذكرت مغازيه وسيرته على التقريب والاختصار والاقصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط » .

وواضح من ذلك أن ابن عبد البر قصد في هذا الكتاب إلى صنع مختصر للسيرة النبوية ، وعبر عن مقصده لا في خطبة الكتاب فحسب ، بل أيضاً في عنوانه الذي اختاره له ، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوي على حشو كثير ، فرأى أن يكتب بالدرر والفرائد التي تجعل منها خيطاً ممدوداً متصلاً . وقد بدأ هذا المختصر بالمبعث وما بعده من المغازي والأحداث ، أما ما قبل ذلك من ولادة الرسول ونسبه ووفاته أبيه وأمه وجدته وكفالة أبي طالب ونشأته وأطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة فقد أجمله في صدر كتابه : « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وكأنه رأى أن لا داعي لتكرار حديثه عنه . ويقول إنه بنى الكتاب على ما رسمه ابن إسحق ، والتقاؤه به واضح في المغازي وتواليها وأسماء من شاركوا واستشهدوا من المسلمين فيها ومن قُتلوا أو أُسروا من المشركين . وإذا كان قد تابع ابن إسحق في البناء العام فإنه استقلَّ عنه في كثير من المواضع بما أضاف من كتابي موسى

ابن عقبة وابن أبي خيثمة ، ومن روايات أساتذته الذين سميناهم ، فقد استمد منهم كثيراً من الأحاديث . وإذا عرفنا أنه كان من كبار الحُفَاط للحديث النبوي الذين اشتهروا بالدقة والتحرى والتثبت ، وأنه كان حاذقاً بعلم الأنساب ومعرفة الأصحاب ، وضبط أسماءهم على وجهها الصحيح انضحت قيمة هذه السيرة ، وهو نفسه يحدثنا أنه لم يكتف إزاء كتاب موسى بن عقبة وتسمية ابن إسحق برواية واحدة ، بل استعان برواياتها المختلفة على المقارنة والموازنة ، وأضاف إلى ذلك كتابات الواقدي وابن أبي خيثمة وروايات شيوخه للحديث ، ونقل من كل ذلك إلى وضع سيرة نبوية وثيقة .

وقد يتدنى بعض فصول الكتاب دون سند ، وكأنه يورد حينئذ ما استقر عليه رأيه بعد طول النظر والفحص والمراجعة والمقارنة . ونراه يثر بعض آراء له في جوانب السيرة . وهي آراء علم من أعلام الفقه والحديث ، ولذلك كان لها وزنها الكبير مها خالفت ما ذاع واشتهر ، على نحو ما يلقانا في حديثه عن أوائل السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله ، فقد ذكر من بينهم السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ، وقيد ذلك بقوله : « وهي صغيرة » وفي ذلك ما يخالف المشهور من أن الرسول ﷺ بنى بها في المدينة وهي بنت تسع سنين ، ولا بد أنه ثبت عند ابن عبد البر أن السيدة عائشة أسلمت في أول البعثة أى قبل الهجرة إلى المدينة بنحو ثلاث عشرة سنة ، مما يقتضى أن تكون سنّها حين البعثة خمس سنوات على الأقل حتى يصدق عليها أنها كانت من أول الناس إسلاماً ، ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخارى في تفسير سورة اقتربت أى سورة القمر من قول السيدة عائشة رضی الله عنها « لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة - وإني لجارية ألب - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وهي من آيات سورة القمر التي نزلت في السنة الخامسة للهجرة ، وتغيرها بأنها كانت جارية تلعب يفيد أن عمرها لم يكن يقل حينئذ عن نحو عشر سنوات . ومن ذلك أنه ذهب إلى أن فرض صوم رمضان كان في السنة الأولى للهجرة ، والمشهور أنه كان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . ومن ذلك ذهابه في حديثه عن مقاسم خير وأموالها أنها فتحت جميعها عتوة ، وقد ناقشه في ذلك ابن سيد الناس مناقشة طويلة أثبتنا مجملها في موضعها من الكتاب . ونراه يتوقف عند بعض الأحاديث التي لم تثبت ، ويتهمها ، من ذلك ما روى عن ابن مسعود من أحاديث عن إسلام الجن ، وما جاء في بعضها

من وضوء الرسول بالنبيد ، إذ لم يجد ماء ، فقد قال : « هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر عن طرق شتى حسان كلها ، إلا حديث أبي زيد عن ابن مسعود الذي فيه ذكر الوضوء بالنبيد ، فإن أبا زيد مجهول لا يعرف في أصحاب ابن مسعود ، ويكفى في ذكر الجن ما في سورة الرحمن وسورة (قل أوحى إلى أنه استمع نفرًا من الجن) وما جاء في الأحقاف : قوله : (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن) الآيات . وهو بذلك يريد التمسك بنص القرآن الكريم دون زيادة عليه . وما يصور دقته وتحريه قوله في غزوة بني المصطلق أو المرسيح : « وفي هذه الغزوة قال أهل الإفك في عائشة - رضی الله عنها - ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها ، ورواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في ذلك سعد بن عبادة ، وهم وخطأ ، وإنما تراجع في ذلك سعيد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره ، وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات في منصرف رسول الله ﷺ من بني قريظة لا يختلفون في ذلك ، ولم يدرك غزوة المرسيح . ولا حضرها » .

نحن إذن بإزاء سيرة نبوية محمودة ، سيرة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها ، بل تعتمد أيضًا على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بالدقة في أسماء الأعلام ، ومع التوقف في موضع التوقف والنفوذ إلى الرأي السليم ، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .

وبلغ من قيمة هذه السيرة وأهميتها في عصرها أن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر علمًا منصوبًا أمام بصره حين حاول أن يصنّف سيرته النبوية التي سماها « جوامع السيرة » وقد نُشرت بدار المعارف نشرة جيدة محققة عن نسخة يكثر فيها التصحيف ، كما تكثر سواقت الكلام . ونراه يستهلها بقطعة موجزة يتحدث فيها عن نسب رسول الله ﷺ ومولده وسنه ووفاته وأعلام رسالته وحجّه وعمراته وغزواته وبعوثه وصفته وأسمائه وأمراته وكتابه وحرسه ومؤذنيه وخطبائه وشعراته ورسله ودعوته بعض الملوك إلى الإسلام ونسائه وأولاده وشيمه وأخلاقه . وهو في هذه القطعة لا يلتقي بابن عبد البر في سيرته ، لأنه كما قدمنا لم يعرض لكل ذلك مكثفًا بما جاء منه في صدر كتابه « الاستيعاب » غير أننا لا نكاد

نتقدم مع ابن حزم حتى نجده يلتقي مع ابن عبد البر في أكثر صحفه ، وتنبّه إلى هذا الالتقاء
ناشرو سيرة ابن حزم قائلين :

« وقد أفاد ابن حزم في كتابه السيرة مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن
عبد البر مؤلف كتاب « الدرر في اختصار المغازي والسير » ونحن لا نملك من هذا الكتاب
صورة كاملة أو وافية تدلنا إلى أي مدى اعتمد عليه ابن حزم ، ولكن النقول القليلة التي
احتفظ بها ابن سيّد الناس من كتاب أبي عمر المذكور تؤكد أنّ ابن حزم قد نقل عن
شيخه نقولاً متفرقة في شيء قليل من التصرف ، إلا أنّ نفترض أنّ المؤلفين - نعني ابن
عبد البرّ وابن حزم - يتقلان عن مصدر ثالث لم يقع إلينا » .

ولو أن ناشري الكتاب رأوا مخطوطة كتاب ابن عبد البر لجزموا بأن ابن حزم نقل عنه
منذ حديثه عن المبعث ص ٤٤ أكثر صحف كتابه مع تصرف قليل هنا وهناك . أما الظن
بأنها ربما تقلنا عن مصدر مشترك فيضعفه أن ابن عبد البرّ عيّن في سيرته مصادره التي نفذ
من خلالها إلى وضع كتابه ، في حين لم يذكر ابن حزم فيما التقي به معه مصدراً واحداً .
وحقاً أنه يتابع في حديثه المفصل عن الغزوات ابن إسحق ، سواء في ترتيبها أو فيما تضمنته
من الأحداث ومن أسماء من شاركوا فيها من المسلمين والمشركين وشهداء الأولين وقتلى
وأسرى الأخيرين ، غير أنه في الواقع يتابع في ذلك ابن عبد البر ، فقد مرّ بنا ذكره في
تقديمه لكتابه هذه المتابعة . وابن حزم لا يتابع ابن عبد البر في نسق كتابه وما تضمنه من
الأحداث وأسماء الأعلام فحسب . بل كثيراً ما يتابعه في سرد كلامه ناقلاً نص عباراته مع
شيء من التصرف أحياناً . وقد يترك النص الذي ينقله عن أستاذه دون أي تصرف . وزراه
يتابعه في كثير من مراجعته وآرائه ، حتى ليظن من لم يقرأ ابن عبد البر أنها ثمرة اجتهاده ،
من ذلك متابعتها له في أن أبا موسى الأشعري لا يصح أن يسلك فيمن هاجر من مكة إلى
أرض الحبشة ، يقول ابن عبد البر : « وقد جاء في بعض الأثر وقاله بعض أهل السير
(انظر ابن إسحق في السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٧/١) أن أبا موسى الأشعري كان فيمن
هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج في طائفة من قومه مهاجراً من بلده
بايمن يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمهم الريح بالسفينة التي كانوا فيها إلى أرض الحبشة .
فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب » وقارن بذلك جوامع السيرة ص ٥٨ .
ومن متابعة ابن حزم لأستاذه ما ذهب إليه من أن الزكاة فرضت عقب الهجرة ومؤاخاة

الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار (قارن بجوامع السيرة ص ٩٧) . وقد تابعه في ان من شهد بدرًا من المهاجرين كانوا ستة وثمانين رجلاً (قارن بجوامع السيرة ص ١٢٢) في حين عدّهم ابن إسحق في السيرة ٣٦٤/٢ ثلاثة وثمانين . ومربناً آفاً نفى ابن عبد البر لأن تكون قد حدثت مراجعة في حديث الإفك بين سعد بن معاذ وسعد بن عباد لموت ابن معاذ قبل الحادث . (قارن بجوامع السيرة ص ٢٠٧) .

وهذا التطابق بين سيرة ابن حزم وسيرة ابن عبد البر في الآراء وسرد الأعلام وعبارات النص جعلتنا نتخذ من أكثرها ما يشبه نسخة ثانية من كتاب ابن عبد البر . وقد انتفعنا بها في تصحيح ما جاء في نسختنا من بعض التصحيفات ومن بعض نواقص الكلام . ولا نشك في أنه لو كان بأيدي ناشرها مخطوطة كتاب ابن عبد البر لأصلحوا وقوموا نص سخطهم التي نشروا منها كتاب ابن حزم في مواضع كثيرة ، وحقاً بذلوا جهداً قيمياً في تقويمه ورد كثير من سواقطه إلى مواضعها من اتصال الكلام ، ولكن ظلت بقية يهدي إليها كتاب ابن عبد البر ، يتصل بعضها بتصحيح بعض الألفاظ ، وبعضها يتصل بسقوط بعض أسماء الأعلام حين توالى متعاقبة ، فن ذلك ما جاء في ص ٦٩ عن قدوم بعض الأنصار إلى مكة قبل الهجرة يطلبون الحلف من قريش ، فقد جرت العبارة على هذا النحو : « ثم قدم إلى مكة أبو الحيسر أنيس بن رافع في مائة من قومه » وصحة العبارة في ابن عبد البر : « وقدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع في فتيه من قومه » وانظر ابن إسحق في السيرة النبوية لابن هشام ص ٦٩ . ونقرأ في ص ٨٨ : « ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة وكلموا عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهها وابن عمتهما » وفي ابن عبد البر : « وكان أخاهما لأمهها وابن عمهما » وهو تصحيح واضح . وفي نفس الصفحة يسرد ابن حزم عن ابن عبد البر من قدموا المدينة مهاجرين مع عمر بن الخطاب ، ويسقط من كاتب النسخة اسم « إياس وعامل وعامر وخالد بنو البكير اللثي حلفاء بني عدى بن كعب » . ويكثر في سيرة ابن حزم المنشورة ، أو بعبارة أدق في نسختها التي نشرت ، سقوط مثل هذه الأسماء المتوالية ويمكن دائماً إكمالها من ابن عبد البر ، ويكفي أن نمثل بمثال ثان في الصفحة التالية ، إذ جاء فيها : « ونزل حمزة بن المطلب وحليفه أبو مرثد كنان بن حصين الغنوي وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم » وصحتها في ابن عبد البر : « ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أبو مرثد الغنوي وابنه مرثد بن

أبي مرثد، وزيد بن حارثة وأنسة وأبو كيشة موالى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهدم». وفي ص ١٠٦ أن أباسعيد بن المعلی «سمع رسول الله ﷺ [يأمر] بتحويل القبلة». وقد جعلت كلمة يأمر بين قوسى الزيادة إشارة إلى أنها سقطت من الأصل ، وفى ابن عبد البر مكانها كلمة يخطب . وفى ص ١١٢ «عرض الرسول على أصحابه (فى وقعة بدر) مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعاً مصرعاً ، يقول : هذا مصرع فلان ومصرع فلان فما عدا واحد منهم مضجعه» . وفى ابن عبد البر مكان مضجعه «مصرعه» . وفى ص ١١٩ «وعامر بن فهيرة .. من مولدى الأسد» وفى ابن عبد البر : «من مولدى الأزدي» . وفى ص ١٣٣ «ومن بنى مرزوخة وعمرو ابني غنم بن أمية» وصحتها فى ابن عبد البر : «ومن بنى مرزوخة وهو عمرو بن غنم بن أمية» . وفى ص ١٥٦ «أشار رسول الله ﷺ ألا يخرجوا إليهم (إلى المشركين) وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قدموا منها قاتلهم على أفواه الأزقة» وصحة العبارة فى ابن عبد البر : «أشار رسول الله ﷺ على أصحابه ألا يخرجوا إليهم وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قربوا منها قاتلوهم على أفواه الأزقة» . وفى ص ١٥٨ «وكان فى المشركين يومئذ خمسون فارساً» وصحتها فى ابن عبد البر «وكان فى المسلمين يومئذ خمسون فارساً» . وفى ص ١٦١ «وكان قد قُتل أصحاب اللواء من المشركين حتى سقط فرغته عمرة بنت علقمة» وعبارة ابن عبد البر : «وقُتل صاحب اللواء من المشركين فسقط لوائهم فرغته عمرة بنت علقمة» وبذلك تستقيم العبارة والسياق . وفى ص ١٦٥ «وجدوا الأصيرم وبه رمق يسير فقال بعضهم لبعض : والله إن هذا الأصيرم فأجابه لقد تركناه وإنه لننكر لهذا الأمر» وفى ابن عبد البر بدلا من «فأجابه» «ما جاء به» وبذلك يستقيم الكلام . وفى ص ٢٠٤ «وذلك لشر وقع لبني جهجاه بن مسعود الغفارى أجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وبر الجهني» وصحة العبارة فى ابن عبد البر «وذلك لشر وقع بين جهجاه...» . وعلى هذا النحو تصلح سيرة ابن عبد البر بعض عبارات النسخة المنشورة من سيرة ابن حزم فتكمل نواقصها وتصلح ما دخلها من فساد التصحيف والتحرif .

ولعل أهم من خلفوا ابن عبد البر إفادة من سيرته ابن سيّد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ للهجرة ، فقد جعلها نصب عينيه فى سيرته النبوية المطولة التى سماها «عيون الأثر فى فتون المغازى والشمال والسير» وهى مطبوعة فى مجلدين بالقاهرة ، وفيها ينقل فقراً وفصولاً كبيرة

عن ابن عبد البر مصرحاً باسمه غالباً ، وقد راجعه كثيراً في أسماء الأعلام وفي جوانب مختلفة من مادة سيرته وآرائه ، وهو دائماً يتوه به ، حتى إذا أنهى كتابه وأخذ في ذكر أسانيد الكتب التي استقى منها سيرته أو كتابه قال : « ما كان فيه عن أبي عمر فن كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير وهو مما روته عن والدي - رحمه الله - عن شيخه أبي الحسين محمد بن أحمد بن السراج ، عن خاله أبي بكر بن خير ، عن أبي الحجاج الششمري ، عن أبيه علي الغساني . عنه » . ومعنى ذلك أن نقوله عن سيرة ابن عبد البر مأخوذة عن نسخة منسوبة مسندة تناقل روايتها عن مؤلفها شيوخ ثقات ، مما يرفع من قيمتها ومن درجة توثيقها . ونظن ظناً أن نسختنا التي نَعْنَى بنشرها قد أُخِذت عن تلك النسخة التي تحولت من الأندلس إلى مصر مع والد ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن عبد الله الإشبيلي نزير القاهرة . وقد يكون ابنه كتب منها نسخة لنفسه ذاعت في الناس أو لعل نسخة أبيه هي التي ذاعت عن طريق تلاميذه المصريين . وإنما يدفعنا إلى هذا الظن أن نصوص نسختنا تتطابق مع نصوص النقول التي اقتبسها ابن سيد الناس من الكتاب ، حتى فيما يبدو فيه الغلط أو التصحيف ، فمن ذلك ما جاء في خبر دخول بني هاشم وبنو المطلب في الشعب ومنازلة قريش لهم إذ وردت هذه العبارة : « ليسلموا رسول الله ﷺ برؤمته إلى قريش » في نسختنا وكذلك في ابن سيد الناس ١٢٧/١ والرمة : الحبل ويراد بها هنا العهد ، ويمكن أن تكون مصفحة عن لفظة « بدمته » . وفي نفس المصفحة في ابن سيد الناس وفي نسختنا : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم » . وصححت كلمة أحدثتم في هامش نسختنا بكلمة « أحدثتم » وهي أدق منها في السياق وكأنما حدث في الكلمة تصحيف .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن سيرة ابن عبد البر كثرة مفرطة ، وهي تلقانا منذ مفتتحها وحديثه عن خبر مبعث الرسول ﷺ ، إذ يلتقي به في كثير من الأحاديث النبوية التي ساقها في خبر المبعث (قارن بابن سيد الناس في ٨٠/١ وفي مواضع متفرقة) وأيضاً في كثير من الأحاديث المنتورة في ثنايا الكتاب . ولا نصل إلى حديث ابن عبد البر عن المجاهرين بالظلم لرسول الله ولكل من آمن به حتى نجد ابن سيد الناس ينقل عنه هذا الحديث في ١١٠/١ مصرحاً باسمه ، كما ينقل عنه في ١١٣/١ الفقرة التي خصها بالسهمتين بالرسول . ولا يلبث ابن عبد البر أن يعقد باباً يذكر فيه الهجرة إلى أرض الحبشة ، ويتابعه

ابن سيد الناس في العنوان (انظر ١١٥/١) راوياً الحديث الذي ساقه في مسهله وكثيراً من مادة الباب . ويعقد ابن عبد البر عقب ذلك: « باب ذكر دخول بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف في الشعب وما لقوا من سائر قريش في ذلك » وينقله عنه ابن سيد الناس في ١٢٧/١ بحذافيره . ويتلوه بفصل عن إسلام الجن وما جاء فيه من أحاديث مستندة إلى ابن مسعود ، وتحول مادة الفصل كله إلى سيرة ابن سيد الناس في ١٣٦/١ . ويتحدث عن عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب وما كان من اجتماع العقبة الأولى والثانية والثالثة . ويمزج ابن سيد الناس بين مادة كتاب ابن عبد البر وغيره من كتب السيرة . وما يلبث أن ينقل عنه في ١٧٤/١ الفقرة الخاصة بهجرة عمر بن الخطاب إلى المدينة ، كما ينقل عنه في ١٩٩/١ مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة وجوانب من مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . ويخرج ابن عبد البر إلى المغازي فيتابعه غزوة غزوة مقارنة في كثير من الأحوال بينه وبين غيره من رواة السيرة سواء في الأخبار أو في أسماء الأعلام. ونراه يقف مثله بعد بعث عبد الله بن جحش ، فيتحدث في ٢٣٠/١ عن صرف القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة مورداً من كتابي ابن عبد البر : « التمهيد » و « الاستذكار » الروايات المتعلقة بالاختلاف في الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس ؟ وقد نقل عنه الفصول الخاصة بمن استشهد بيذر من المسلمين ، ومن قُتل وأسر من كفار قريش في تلك الموقعة ، مصرحاً بنقله عنه (انظر ٢٨٦/١) ولا يلبث أن يلخص عنه في ٢٩٢/١ فصلاً عقب به على تلك الموقعة . وقد لا ينقل عنه ، ولكن دائماً يوازن بينه وبين غيره من رواة السيرة . ودائماً يرجع إلى كتابه « الاستيعاب » في موازناته ومراجعاته . وقد نقل عنه في ١٣٦/٢ الفقرة الخاصة بفتح خيبر عترة ومقاسم أموالها وناقشه مناقشة واسعة . وهذه النقول الكثيرة عن ابن عبد البر تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة من كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير ، للمقابلة على النسخة التي نشرها ، وقد أصلحنا بها النص في غير موضع ورددنا إليه سواقطه وأقمنا ما أدخله الناسخ عليه من بعض التصحيف والتحريف .

٤

وصف مخطوطة الكتاب ومنهجنا في تحقيقه

لم يكن بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب في تحقيقنا الأول له سوى مخطوطة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٣ تاريخ . ولما كان يُعدُّ من ذخائر تراثنا العربي النفيسة فقد رأيت تحقيقه معتمداً على تلك المخطوطة ، وهي تامة وإن كان يبدو أن الورقة الأولى منها التي كانت تحمل عنوان الكتاب فقدت قديماً ، ووُضع مكانها ورقة أخرى كُتب عليها عنوانه على هذا النحو : « كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير للحافظ أبي عمر بن عبد البر النمري ، رحمه الله تعالى ، أمين » . وكُتب على يسار العنوان بخط محمد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس في شرح جواهر القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ للهجرة هذه العبارة : « افتداه ، وعلى وقفته أبقاه ، العبد لله ، محمد مرتضى الحسيني ، عُني عنه ، حامداً لله ومصلياً ومسلماً على نبيه ومستغفراً » . وكُتب أيضاً على صفحة العنوان : « محض من جامع محرم أفندي الشهرير بالكردي ، وأضيف في ٥ أكتوبر سنة ١٨٨١ » . وواضح من ذلك أن المخطوطة نقلت إلى دار الكتب المصرية في التاريخ المذكور من جامع الكردي ، وكان يعرف قبلاً بالمدرسة المحمودية التي أنشأها الأستاذ محمود في شارع قصبة رضوان بالقرب من باب زويلة . ولا نصل إلى الورقة السادسة من الكتاب حتى نجد الناسخ بخطي في لقب أبي عمر بن عبد البر فيكتبه أبا عمرو بالواو . ونجد في الهامش استدراكاً عليه هذا نصه : « هذه الكراريس من كتاب السيرة النبوية للحافظ أبي عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » . وكتب الزبيدي ، الذي تملك النسخة كما مرَّ بنا آنفاً ، بجانب هذا الاستدراك : « هذا خط الحافظ أبي الخير السخاوي ، رحمه الله . وكتبه محمد مرتضى » . وأبو الخير السخاوي هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي صاحب كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة . وكل هذه الشهادات من شأنها أن تؤثت المخطوطة ، فقد قرأها السخاوي وتملكها الزبيدي .

وقد كُتبت المخطوطة بقلم معتاد ، وهي بخطين مختلفين ، أحدهما خط نسخ واضح

ضبطت فيه بعض الكلمات بالشكل ، وكتبت عناوين الفصول والأبواب بالقلم الثلث .
والآخر خط معتاد قليل الإعجام خال من الضبط . والعناوين فيه بخط أكبر مما يليها .
وعلى الهوامش مراجعات واستدراكات ، مما يدل على أن ناسخها راجعها على الأصل
الذي نسخها منه ، وقد صرح بذلك في نهايتها . ويبدو أنها كتبت في القرن الثامن
الهجري ، ومررنا استظهارنا لأن تكون نسخة فرعية للأُم التي نقل عنها ابن سيد الناس
نقوله في كتابه « عيون الأثر » .

وتردد في المخطوطة كلمة « قلت » ويليها تعقيبات وتعليقات على كلام ابن عبد البر ،
وكثيراً ما يستضيء صاحبها ببعض ما ذكره السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ للهجرة في كتابه
(الروض الأنف) في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام مما يقطع بأنه
عالم متأخر . وقد أحال كثيراً على كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ،
وأحال أيضاً على كتابيه « التمهيد » و « الاستذكار » . وقد يضع مكان كلمة « قلت » كلمة
« فائدة » أو « ههنا لطيفة » . وفي مواضع قليلة جداً ذكر التعليق بدون إشارة تسبقه تدل
على أوله . غير أن تعليقه كان دائماً يحمل الدلالة على أنه ليس من كلام ابن عبد البر . بما
يتضمن من معارضته له ، وبما ينيه به من علامات نهايات الاستدراكات كقوله :
« يرجع الكلام » أو « عاد الكلام » أو « والله أعلم » أو « والله الموفق » أو « بالله التوفيق »
أو « والحمد لله » أو « والحمد لله رب العالمين » . وإحدى اثنتين : إما أن تكون هذه
التعليقات كتبت على هامش الأصل الذي نقلت عنه هذه المخطوطة وأدخلها فيها ناسخها ،
أو يكون الناسخ الذي كتبها هو نفس العالم الذي أضاف هذه التعقيبات والمراجعات . وقد
أخرجتها جميعاً من الكتاب ووضعها في هوامشه مشيراً إليها دائماً بنجوم . حتى تميز مما في
الهوامش من تعليقات لمرة . وهي تدل دلالة بيّنة على أن من كتبها محدث بصير يكتب
السيرة النبوية وكتب الحديث المختلفة ، وأنه فقيه سني ، عالم باختلافات الفقهاء وطرقهم
في الاستنباط . وأنه يتقن العلم باللغة والنحو واختلافات النحاة : سيبويه وغيره في بعض
المسائل . كما يتقن علوم البيان من الخجاز وغير الخجاز . وإنما أخرجت مراجعاته وتعليقاته من
الكتاب حتى أعيد إليه نسقه وصورته الأصلية .

أما المنهج الذي رسمته في تحقيق الكتاب فقد أخذت نفسى فيه . بمقابلة نصوصه على
الأصل الذي استمد منه ابن عبد البر في المغازي ، وهو سيرة ابن إسحق برواية ابن هشام

المشهورة ، وأفادت كثيرًا من شرحها المسمى باسم الروض الأنف لمؤلفه السهيلي . وقابلت الأحاديث المبثوثة في الكتاب على صحيح البخارى ومسند أبي داود الطيالسى وصحيح مسلم وسنن أبي داود ومسند ابن حنبل . وعُتبت بمقابلة نصوص الكتاب عامة على الفرعين اللذين استمدا منه ، وأقصد جوامع السيرة لابن حزم ، وعيون الأثر في المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس . وقد أوضحت - فيما أسلفت - العلاقة بينها وبينه وكيف أنها يكادان يشبهان نسختين منه . نسخة كاملة هي نسخة ابن حزم وقد دخلها شيء من التصرف ، ونسخة ناقصة هي نسخة ابن سيد الناس ، وقد احتفظت بالنصوص التي نقلتها عن الكتاب على وجهها الدقيق وأدائها الصحيح . وقد قابلت أعلام الكتاب وصحة أنسابها وضبطها على كتاب المؤلف « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » وأفادت منه فوائد جمة . وكل هذه المقابلات أثبتتها في الهوامش . وأثبت معها بعض الشروح اللغوية وبعض التوضيحات . وذكرت مع كل فصل وباب وقرة مهمة المراجع التي بسطته أو أجملته من أمهات كتب السيرة والتاريخ والأخبار والحديث مثل مغازى الواقدى وطبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى وتاريخ الطبرى وصحيح البخارى والمخبر لابن حبيب والبداية والنهاية لابن كثير ونهاية الأرب للنويرى والسيرة الحلبية وغير ذلك مما يراه القارئ متناثرًا في الهوامش .

ولم أتخذ في الكتاب رموزًا من شأنها أن تعقده . وكل ما اتخذته فيه من رموز هو هذه العلامات التي جرى بها الاصطلاح في النشر والتحقيق :

و : وجه الورقة من مخطوطة دار الكتب المصرية وتتبع رقمها .

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة وتتبع رقمها أيضًا .

: تدل هذه العلامة على بدء الصفحة التالية في المخطوطة وتوضع أمام رقمها .

() : وضعنا هذين القوسين دائمًا حول الآيات القرآنية تمييزًا لها .

[] : واتخذنا هاتين الحاصرتين لما سقط من المخطوطة وجلبناه من أصولها أو فروعها

أو من مخطوطة الرباط .

والله - وحده - أسأله أن يوفقنى بمنه وكرمه إلى الاقتداء بسيرة خير خلقه وخاتم رسله .

إنه ولىّ الطَّوَل والفضل . وهو حسبي ونعم الوكيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ فِي عَهْدِ اللَّهِ
 بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ السَّهْمِ الرَّبِيِّ وَخُوَالِهِ عَنِ
 الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنُصْرًا وَالْكَافِرِينَ
 اللَّهُ فَكُنْ بِحُجْرَتِ رَسُولِهِ وَعَلَى اللَّهِ أَيْمَانٌ مِنْ هَذَا
 كِتَابٍ الْقَوْمُ يَتَعَسَّرُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَأَبْنَاءُ بَنَاتِهِ وَأَوْلَادُ أُمَّرَاءِ بَنَاتِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ
 وَسِعْرًا فِيهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَوْلًى فِي نَسَبِهِ
 وَحَسْبُنَا مِنْ جِبَلِهِ فِي مَسْكُونِهِ فِي السَّحَابِ وَوَلَدِهِ
 هَذَا الْكِتَابُ لِسَائِرِ خَيْرِهِ فِي سَلْمِهِ وَأَرْوَاقِهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْتَصَرَ لِحَسْبِ الْكَلْبِ مِنْ كِتَابِ
 مُوسَى بْنِ عَقِيْبَةَ وَكَتَابِ بْنِ أَحْمَدَ وَرَوَاهُ
 بِنُ عَمْرٍو وَغَيْرُهُ وَكَانَتْ فِيهِ خَيْرُ الْمِيسَا
 مِنْهَا وَالْمَسْتُرُ لَهُ عَلَى مَرْجُومٍ أَحْمَدُ
 فَكَرِهَتْ عَلَيْهِ رُبُوسِيْنٌ عَلَى التَّقْوِيمِ وَالْمَقَالَعَاتِ
 وَالْإِسْتِغْلَالِ عَلَى الْعِيْرَانِ مِنْ ذَلِكَ دُونَ النُّطْقِ
 وَالْقَلْبِ وَالرَّأْيِ عَلَى جِبَلِ الْأَسَدِ فِيهِ
 وَأَتَقْتُهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَلَا رُكْبَانِهِ
 بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ظ ١

[خطبة الكتاب]^(١)

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التَّمْرِي رضى الله عنه^(٢) :

الحمد لله رب العالمين ، وحسبنا^(٣) الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد^(٤) رسوله وعلى آله^(٥) أجمعين . هذا كتاب اختصرت^(٦) فيه ذكر مبعث النبي ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه وسيرته فيها^(٧) لأنني ذكرت^(٨) مولده وحاله في نشأته وعبوناً من أخباره في صدر كتابي في الصحابة^(٩) . وأفردت هذا^(١٠) الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته ﷺ . اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحاق رواية ابن هشام وغيره ، وربما ذكرت فيه خبراً ليس منها . والتسقى كله على ما رسمه ابن إسحاق . فذكرت مغازية وبيئته^(١١) على التقريب^(١٢) والاختصار والاختصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط ، وإلى الله أرغب [في العون]^(١٣) على الأمل فيه ، والتوفيق لما يرضيه ، وهو حسبي لا شريك له .

- (١) ما بين الحاصرتين زيادة للسباق وقد استهلّت نسخة (الرابطة) الكتاب هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
- (٢) في ر : رحمه الله ورضي عنه آمين .
- (٣) في ر : وحسبي .
- (٤) في ر : سيدنا محمد .
- (٥) في ر : وعلى آله وصحبه .
- (٦) في ر : أختصر .
- (٧) في ر : مختصراً .
- (٨) في ر : لأنني ذكرت عبوناً من أخباره في مولده ومبلغ سنه وعدد أزواجه .
- (٩) يشير إلى كتابه : الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
- (١٠) هنا في ر : بياض بقدر ثلاثة أسطر .
- (١١) في ر : سيرته .
- (١٢) في ر : على الاختصار والتقريب والاختصار .
- (١٣) زيادة من ر .